٢. والعلماء ، فيزيدون على ما يدر
وهذا الدليل هو الذي نبه عليه القرآن الكريم

وبيانه كالآتي:

أولاً / دليل العناية وهذا يظهر في العناية بالإنسان وخلق جميع الموجودات من أجله، وذلك لأن جميع الموجودات هي موافقة لوجود الإنسان وهذه الموافقة هي ضرورة من قبل فاعل قاصد مريد لذلك إذ ليس يمكن أن تكون هذه الموافقة بالصدفة . وهذه الموافقة تحصل باعتبار موافقة الليل والنهار والشمس والقمر لوجود الإنسان ، وكذلك موافقة الزمان والمكان الذي هو فيه ، وكذلك الحيوان والنبات والجماد والأمطار والأنهار والهواء والنار .

فهذه الموافقة تظهر كون أن هذه الأشياء موافقة لوجود الإنسان وحاجاته وحياته وهي عناية إلهية، قال تعالى: ﴿ تَبَارَكَ ٱلَّذِى جَعَلَ فِى ٱلسَّمَآءِ بُرُوجًا وَجَعَلَ فِيهَا سِرَٰجًا وَقَمَرًا مُّنِيرًا ﴿٦١﴾ ﴾ سورة الفرقان (٦١) وقال تعالى: ﴿ أَلَمْ نَجْعَلِ ٱلْأَرْضَ مِهَٰدًا ﴿٦﴾ وَٱلْجِبَالَ أَوْتَادًا ﴿٧﴾ وَخَلَقْنَٰكُمْ أَزْوَٰجًا ﴿٨﴾ وَجَعَلْنَا نَوْمَكُمْ سُبَاتًا ﴿٩﴾ وَجَعَلْنَا ٱلَّيْلَ لِبَاسًا ﴿١٠﴾ وَجَعَلْنَا ٱلنَّهَارَ مَعَاشًا ﴿١١﴾ وَبَنَيْنَا فَوْقَكُمْ سَبْعًا شِدَادًا ﴿١٢﴾ وَجَعَلْنَا سِرَاجًا وَهَّاجًا ﴿١٣﴾ وَأَنزَلْنَا مِنَ ٱلْمُعْصِرَٰتِ مَآءً ثَجَّاجًا ﴿١٤﴾ لِّنُخْرِجَ بِهِۦ حَبًّا وَنَبَاتًا ﴿١٥﴾ وَجَنَّٰتٍ أَلْفَافًا ﴿١٦﴾ ﴾ سورة النبأ (٦-١٥).

وقال تعالى: ﴿ فَلْيَنظُرِ ٱلْإِنسَٰنُ إِلَىٰ طَعَامِهِۦٓ ﴿٢٤﴾ أَنَّا صَبَبْنَا ٱلْمَآءَ صَبًّا ﴿٢٥﴾ ثُمَّ شَقَقْنَا ٱلْأَرْضَ شَقًّا ﴿٢٦﴾ فَأَنۢبَتْنَا فِيهَا حَبًّا ﴿٢٧﴾ وَعِنَبًا وَقَضْبًا ﴿٢٨﴾ وَزَيْتُونًا وَنَخْلًا ﴿٢٩﴾ وَحَدَآئِقَ غُلْبًا ﴿٣٠﴾ وَفَٰكِهَةً وَأَبًّا ﴿٣١﴾ مَّتَٰعًا لَّكُمْ وَلِأَنْعَٰمِكُمْ ﴿٣٢﴾ ﴾ سورة عبس (٢٤-٣٢) .

ثانياً / دليل الاختراع وهو ما يظهر من اختراع جواهر الأشياء والموجودات كاختراع الحياة في الجماد والإدراكات الحسية والعقل بما في ذلك من وجود الحيوان والنبات والسماوات ، وكل هذه الموجودات وجدت بعد أن لم تكن أوجدها واهب الحياة والمنعم

بها وهو الله تعالى قال الله تعالى: ﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّاسُ ضُرِبَ مَثَلٌ فَٱسْتَمِعُوا۟ لَهُۥٓ ۚ إِنَّ ٱلَّذِينَ تَدْعُونَ مِن دُونِ ٱللَّهِ لَن يَخْلُقُوا۟ ذُبَابًا وَلَوِ ٱجْتَمَعُوا۟ لَهُۥ ۖ وَإِن يَسْلُبْهُمُ ٱلذُّبَابُ شَيْـًٔا لَّا يَسْتَنقِذُوهُ مِنْهُ ۚ ضَعُفَ ٱلطَّالِبُ وَٱلْمَطْلُوبُ ﴿٧٣﴾ ﴾ سورة الحج (٧٣).

كما أن كل مُخترَع فله مُخترِع، فعلى من أراد معرفة الله حق معرفته، أن يعرف جواهر الأشياء، ليقف على الاختراع الحقيقي في جميع الموجودات، لأن من لم يعرف حقيقة الشيء لم يعرف حقيقة الاختراع.

قال تعالى: ﴿ أَوَلَمْ يَنظُرُوا۟ فِى مَلَكُوتِ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ وَمَا خَلَقَ ٱللَّهُ مِن شَىْءٍ وَأَنْ عَسَىٰٓ أَن يَكُونَ قَدِ ٱقْتَرَبَ أَجَلُهُمْ ۖ فَبِأَىِّ حَدِيثٍۭ بَعْدَهُۥ يُؤْمِنُونَ ﴿١٨٥﴾ ﴾ سورة الأعراف (١٨٥).

وقال تعالى: ﴿ فَلْيَنظُرِ ٱلْإِنسَٰنُ مِمَّ خُلِقَ ﴿٥﴾ خُلِقَ مِن مَّآءٍ دَافِقٍ ﴿٦﴾ ﴾ سورة الطارق (٥-٦).

وقال أيضاً: ﴿ أَفَلَا يَنظُرُونَ إِلَى ٱلْإِبِلِ كَيْفَ خُلِقَتْ ﴿١٧﴾ ﴾ سورة الغاشية (١٧).

أما الآيات القرآنية التي تجمع بين هذين الدليلين فمنها:

١. قوله تعالى: ﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّاسُ ٱعْبُدُوا۟ رَبَّكُمُ ٱلَّذِى خَلَقَكُمْ وَٱلَّذِينَ مِن قَبْلِكُمْ لَعَلَّكُمْ تَتَّقُونَ ﴿٢١﴾ ٱلَّذِى جَعَلَ لَكُمُ ٱلْأَرْضَ فِرَٰشًا وَٱلسَّمَآءَ بِنَآءً وَأَنزَلَ مِنَ ٱلسَّمَآءِ مَآءً فَأَخْرَجَ بِهِۦ مِنَ ٱلثَّمَرَٰتِ رِزْقًا لَّكُمْ ۖ فَلَا تَجْعَلُوا۟ لِلَّهِ أَندَادًا وَأَنتُمْ تَعْلَمُونَ ﴿٢٢﴾ ﴾ سورة البقرة (٢١-٢٢).

فقوله: خلقكم الذي جعل لكم الأرض فراشاً والسماء بناءً، هنا تنبيه على دلالة العناية.

٢. قوله تعالى: ﴿ ٱلَّذِينَ يَذْكُرُونَ ٱللَّهَ قِيَٰمًا وَقُعُودًا وَعَلَىٰ جُنُوبِهِمْ

وَيَتَفَكَّرُونَ فِي خَلْقِ السَّمَاوَاتِ و - - -

سورة آل عمران (١٩١) .

فَقِنَا عَذَابَ النَّارِ ﴿١٩١﴾

والدليل العلمي هو الذي أكد عليه العلماء في العصور المتقدمة على وجه العموم وفي العصر الحاضر على وجه الخصوص ، وذلك بعد أن اتسع نطاق العلم ، وظهرت المخترعات الحديثة التي كانت سبباً في استكشاف آفاق الفضاء ، والوقوف على أسرار الطبيعة ، ومعرفة خفاياها ، مما دعا رجال العلم في مختلف ميادينه ، أن يتحدثوا عن قدرة الله تعالى وإبداعه وعظمته وحيرة العقل الإنساني أمام تلك الأسرار في كل مخلوق من مخلوقات هذا العالم .

وما نذكره هنا من نظرات في بعض ميادين العلم ، ووقوف العلماء على بعض أسرار الكون ، ما هي إلا مفتاح للذهن ، يدفعه للتفكير في أمر هذا الكون المترامي الأطراف ، ولا ريب فإن كل جزئية فيه ناطقة بربوبية الله تعالى ووحدانيته .

فيا عجباً كيف يُعصى الإله *** أم كيف يجحده الجاحدُ

وفي كلِ شيءٍ لهُ آيةٌ *** تدلُ على أنهُ واحدُ

ومن بعض هذه الأمثلة المأخوذة من هذا الكون :

١. جميع الكواكب السيارة في مجموعتنا الشمسية، تجري بفلك معين ، لا يحيد عن مداره، فإن حاد قليلاً ، أختل التوازن، فارتطم الكوكب بالآخر وزالت الحياة.

٢. لو كانت قشرة الأرض أسمك عشرة أقدام ، لنفذ الأوكسجين وانعدمت الحياة .

٣. لو كانت البحار أعمق بضعة أقدام مما عليه الآن ، لانجذب في الأوكسجين وثاني أوكسيد الكربون فاستحالت الحياة .

٤. لو كان جو الأرض أرق مما هو عليه الآن ، لتهاوت النيازك فأحرقت الأرض ومن فيها ، لأن النيازك والشهب تتهاوى في كل يوم بالملايين في الهواء الخارجي ، وهي تسير بسرعة ستة أميال إلى أربعين ميلاً في الثانية ، فلو لم يكن هناك مانعاً لأُحرِقت الأرض ومن عليها ولو أن الإنسان أصطدم بشهاب ضئيل يسير بسرعة تفوق سرعة الرصاصة تسعين مرة، لمزقهُ إرباً من مجرد حرارة مروره.

إذا نظرت في المجهر إلى قطرة من المياه الآسنة، فإنك ستجد عليها من الأحياء ما فيه العجائب .

٦. النحل حين يصطاد الجُندُب ، يُخدِّره، فيحمله، ليتغذى بهِ صغاره حين يولَدون.

٧. يطير الخفاش – وهو ضعيف البصر – ليلاً ، ولا يصطدم بحاجز ، لأنه يرسل اهتزازات ترجع إليه إذا اصطدمت بجسم أمامه ، فيحس به دون أن يراه ، وهذا شبيه بالرادار .

٨. لو أن ذبابتين توالدتا، ولم يأت عليهما وعلى أولادهما الموت ، فإنه بعد خمس سنوات، تتشكل طبقة من الذباب حول الكرة الأرضية، ارتفاعها (٥سم). وهذا جنس واحد، فكيف بالمخلوقات جميعاً، إذا لم يأت عليها الموت .

٩. بصمة الإصبع لأي شخص كان امرأة أو طفل أو رجل ، لا تشبه بصمة أي شخص آخر، ولذا تتخذ التحقيقات الجنائية بصمات الأصابع دليلاً على كشف هوية المجرمين.

١٠. ملح الطعام الذي تستحيل حياة الإنسان بدونه، يتكون من أخطر عنصرين، هما: الصوديوم الذي يدخل في تركيب المتفجرات، والكلور الغاز الخانق القاتل .

وبعد هذا نقول: هذه أمثلة يسيره مما ذكره العلماء من نظرات في أرجاء هذا الكون الفسيح الذي يقف أمامها الإنسان مشدوهاً حائراً، يتساءل فيه: مَنْ دَبَّرَهُ ؟ ومَنْ كونهُ؟ ومَنْ سَيَّرَهُ على هذا الشكل البديع المتناسق، الذي يكشف العلم يوماً بعد آخر عجائب هذا النظام الذي يجري عليه هذا الكون ؟ أهذا من صنع الإنسان الذي يعجز عن أن يدفع عنه المكروه، ويعجز أن يغير ما في الطبيعة من ظروف قاهرة كالمطر والفيضانات والرياح والزلازل .....الخ .

إن العاقل ليدرك أن تآلف هذه الجزئيات على هذا النحو ، الذي تتجلى فيه صورة الحياة، استمرار هذا التآلف والحياة مدى الأزمان ، لا يختلف ولا يتريث ، لم يكن من صنع الطبيعة الصماء العمياء كما يقول البعض بذلك .

إن التفسير الحقيقي لهذا النظام ، هو أن نؤمن بقدرةٍ خارقة ، وقوة جبارة ، وعظمة إلهية، بسطت نفوذها وقوتها ، فسيرت الكون على النحو العجيب الذي نراه .

ودليل العناية والاختراع هو الذي ذكره بعض فلاسفة الغرب باسم الدليل الغائي أو برهان الغاية ، الذي يتخذ المخلوقات دليلاً على وجود الخالق ، وهذه المخلوقات تدل على إرادة في تكوينها ، وحكمة في تسييرها وتدبيرها ، فالنظام والإرادة والانسجام والحكمة الظاهرة في الطبيعة ومظاهرها المختلفة المتنوعة ، طُرقٌ ظاهرة لإثبات وجود الله تعالى.